نظرية المعرفة

أ. د. محمود حمدي زقزوق
عميد الكلية

تعريفها

يقصد بنظرية المعرفة الطريق الذى يختاره الإنسان كى يصل من خلاله إلى معرفة نفسه ، ومعرفة الكون حوله ، ومعرفة خالقه — سبحانه وتعالى — .

أو يراد بها الوسيلة التى يرى الإنسان أنها مأمونة وكفيلة بأن يصل من خلالها إلى معرفة نفسه ، ومعرفة العالم الذى يعيش فيه ، ومعرفة فاعل هذا وذاك ، خالق الكل ، ومدبر الكل — عز وجل — .

فالإنسان وجد فى هذا الكون لا يدرك منه كثيرا ، يجهل من شأنه الكثير ، ولا يعرف إلا القليل ، بل أقل القليل . والإنسان فى هذا العالم الذى يحيا فيه ، ويزاول رسالته منذ يخرج إلى هذا الوجود حتى يخرج منه . لا شك أن هذا الإنسان ـ مع جهله بالكثير والجليل من شئون العالم المحيط به — تواجهه أسئلة كثيرة :

من أين ؟ ـ وإلى أين ؟ ـ ولماذا ؟ ـ وكيف ؟ ... ؟

ولا ريب فى أن الإنسان الذى تحاصره تلك الأسئلة وما هو منها بسبيل ، سوف يبحث ، بل يجد البحث عن إجابات لها ، سعيا إلى معرفة نفسه ، ومعرفة ذلك الوجود — أو شىء عنه — الذى وجد نفسه فيه ، يزاول على مسرحه رسالته التى وجد من أجلها ، والتى يحتاج — لكى

يعرفها — إلى بحث وتمحيص وإجهاد فكر . ثم هو فى حاجة إلى بحث أشق ، وجهـد أشد ، لكى يصل إلى معرفة القوة الفاعلة وراء كل ذلك ، المدبرة والمقدرة له ، والوجود كله .

فالإنسان — إذن — تواجهه أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات ، وهو — لا شك — باحث عن تلك الإجابات التى تريحه من ذلك العنت النفسى والعقلى الذى تسببه له تلك الأسئلة فتقض مضجعـه ، وتذهب بأمنه وطمأنينته .

والإنسان فى سبيل الوصول إلى ما يعيد إليه أمنه وطمأنينته وراحته التى أفقده إياها جهله بنفسه وبالوجود حوله ، سوف يقنع بأية إجابات تحقق له الحد الأدنى من ذلك . وهو سوف يستقى تلك الإجابات من بيئته ، ويسلك إليهـا من الوسائل ما يتفق مع طبيعته ، وعوامل نشأته ، ومكونات ثقافته ، وما يجده قريباً من متناول فكره دون كبير عنت أو مشقة .

• • •

تعدد الطرق والوسائل

لذلك ، لاختلاف الناس فى طباعهم ، وجبلاتهم ، وبيئاتهم ، وثقافاتهم ، اختلفوا فى وسائل البحث ، وطرق المعرفـة ، والسبل التى يسلكونها لتحصيل المعرفة ، معرفة أنفسهم ، والوجود من حولهم ، والقوة المتحكمة المسيطرة على الكل ، المدبرة له . اختلفوا فى الطرق التى يسلكونها كى يصلوا من خلالها إلى إجابات على تلك الأسئلة التى سبق أن أشرنا إليها أو إلى بعضها . ومن ثم انقسم النـاس بالنسبة إلى وسائل المعرفة إلى طوائف ، كل طائفة اختارت وسيلة ، وسلكت طريقا ، وضربت فى سبيل ، مخالفة بذلك الطوائف الأخرى .

وهذه الطرق التى سلكها الناس تنحصر فى ثلاثة ، كما هو المشهور لدى الباحثين .

الأول : الحس . أو الطريق الحسى . وقد يسمى بالطريق المادى .

الثانى : العقل . أو الطريق العقلى أو العقلانى ، وقد يطلق عليه النظر العقلى أو التفلسف .

الثالث : الوحى . أو التلقى عن الغيب ، بطرقه المتعددة ، كالأخذ عن الملك ، أو الكلام من وراء حجاب .

ونلاحظ أن هذا الطريق الثالث ينشعب إلى شعبتين ، أو ينضوى تحته طريقان متباينان حقيقة ، وإن تقاربا شكلا .

١ — الأخبار الصادقة الثابتة عن الأنبياء والرسل — صلوات الله عليهم أجمعين — ، والتى تلقوها عن الله — سبحانه وتعالى — وحيا بطرق الوحى المعروفة شرعا .

٢ — الروايات والأخبار الواردة عن الصوفية أو المتصوفة . ومن لف لفهم وسار على مناهجهم . والتى يسمونها بالإشراقات ، أو الفيوضات ... الخ .

ويجب أن ننبه — ابتداء — إلى أننا فى حديثنا عن الطريق الثالث من طرق المعرفة ، فإنما نعنى النوع الأول ، الذى هو الأخبار المعصومة الصادقة الثابتة عن النبيين والمرسلين ، والتى جاءتهم وحيا عن الله رب العالمين .

أما النوع الثانى ، وهو الأخبار والروايات المنقولة عن الصوفية ، فلنا معه — بحول الله تعالى — وقفة ننبه فيها إلى موقفنا منه ، ومدى ثقتنا فيه ، واعتدادنا به .

• • •

تعدد الناظرين

طرق المعرفة — إذن — وسبلها ثلاثة .

والباحثون من الناس ، الناظرون فى هذه الطرق — أيضا — أصناف ثلاثة .

فصنف من الناس أيقن بالمادة وحدها ، وضاق إدراكه عن أن يسمو فوقها ، فانحصر فيها ، وانحسر وعيه وفهمه أن يشمل ما سواها من موجودات عديدة وكثيرة ، ووجود أعم وأشمل ، فوقف عند حدود المادة وأنكر كل ما عداها ومن عداها ، وما ذلك إلا لأنه اتخذ الحس سبيلا إلى المعرفة ، ووسيلة إلى الإدراك ، وطريقا إلى العلم بكل ما يجهل من شأن نفسه ، وشئون الوجود حوله

وهذا الصنف من الناس حين آمن بالمادة وحدها ، وكفر بكل ماعداها كان ذلك أمرا طبعيا بالنسبة إليه ، مادام قد أعمى بصره عن العقل ، وطمس بصيرته عن الوحى ، فلم يفهم ما يأتيه عن العقل ، ولم يؤمن بما يوهب إليه عن الوحى لطفا ورحمة .

بل إن هذا الفريق من الناس ، وقد اتخذ الحس سبيلا إلى المعرفة ، ولم يقبل سواه سبيلا ، ليته قد وعى عن الحواس كل ما توصل إليه ، وتدل عليه ، فإن الحواس — بذاتها — موصلة وموضحة إلى أن وراء العالم المادى المحسوس ، عوالم غير محسوسة ، ولذا فقد أحال القرآن الكريم على الحواس جانبا غير قليل من مؤنة الفهم والإدراك ، ومهمة العلم والمعرفة بعالم الغيب ، وعوالم ما وراء المادة ، بل إن القرآن العظيم نصب الحواس سبيلا إلى معرفة الله — سبحانه وتعالى — ، وطريقا إلى الإيمان به والخضوع له ، والانضواء فى سلك العبودية له — تعالى — .

يقول - تبارك وتعالى - :

[أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت] سورة الغاشية

ويقول — سبحانه — :

[وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين]
سورة الأنعام : ١٤١

ويقول — عز وجل — :

[وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون] سورة يس ٣٦ — ٤٠

هذه الآيات وغيرها كثير من الشواهد والأدلة التى أقامها الله - تعالى - دالة على وجوده ، وشاهد صدق على صفاته العليا وأسمائه الحسنى ، وسبيل إدراك تلك الآيات إنما يقوم بالدرجة الأولى على الحواس . فالحواس هى أداة الإدراك هنا ، وهى الآلة التى يتلقى الإنسان عنها العظة ، ويأخذ من خلالها العبرة . وهى بالتالى الطريق الذى يوصل الإنسان إلى معرفة ربه — سبحانه — .

طريق الحواس — إذن — من شأنه أن يدل الإنسان على ما خفى عليه من عوالم غير منظورة ولا محسوسة . وليس خطأ الحواس ، ولا هى جريرتها ، أن ضل قوم من الناس طريقهم فى الحياة ، وتنكبوا السبيل السوى ، وكفروا بما وراء المادة ، بحجة أن الحواس أضلتهم ، أو أن الحس لم يدلهم على ما وراءه .

نعم ، لم تجرم الحواس فى حقهم ، ولكنهم هم الذين أجرموا فى حق الحواس ، وأشاعوا لها ذكراً سيئاً فى العالمين . ذلك حيث أخطأوا مرتين ، وأجرموا جريمتين :

الأولى : أنهم اقتصروا على الحواس سبيلا إلى المعرفة ، فأضاعوا نعما لله عليهم ، وضيقوا من رحمة الله الواسعة .

الثانية : أنهم — وقد اقتصروا على الحس — لم يأخذوا عنه كل ما يعطيه ، ولم يفقهوا منه دلائله الواضحات ، وآياته البينات .

• • •

وصنف ثان من الناس اختار العقل سبيلا إلى المعرفة ، وركب عقله ، وانطلق يضرب فى بيداء الوجود باحثا عن المعرفة ، ومنقبا عما خفى عنه من أسرار الوجود . لم يقتصر على الحس ، ولم يرتض الوحى ، ولكنه وثق بعقله ، وألقى إليه بزمامه يوجهه كيف يشاء ، لم يعرف لعقله حدوداً ، ولم يضع عليه قيوداً ، بل انطلق بعقله أو انطلق به عقله ، وسار يخبط فى مجال يحسن العقل الخوض فيه ، ومجالات لا صلة للعقل بها ، إلا فى الاستدلال عليها أو الإلماح إليها ، وإثبات وجودها ، بعيداً عما يتصل بها من تفاصيل ، وما يحيط بها من دقائق .

وذلك كما هو الشأن فى الغيب ، فإن العقل يدرك أن هنالك أمورا مغيبة لا تقع تحت الحس ، ولا تدخل فى عوالم المادة ، ولا تخضع للقوانين الطبعية المتصلة بالمادة ، والمفسرة لها . والعقل يدرك ذلك على سبيل القطع ، ولديه البراهين والأدلة التى يثبت بها ما يدركه هذا ، وما هو مؤمن به ، وهى أدلة فى جملتها تقوم على إدراك المؤثر بآثاره ، ومعرفة الفاعل بأفعاله ، فالعالم المادى الطبعى أثر له — بالضرورة — مؤثر ، وهو مخلوق محدث له — لاشك — خالق محدث . والعالم دال على ذلك ، يستوى فى ذلك أن نأخذه فى جملته ، أو نأخذه بتفاصيله ، نأخذه كلا ، أو نكتفى بجزئية صغيرة ضئيلة منه . فبكل ذلك ، وببعض ذلك طريق صحيح يصل العقل من خلاله إلى إدراك الغيب ، والإيمان به ، وإقامة البرهان على وجوده فى الجملة . أما تفاصيل ذلك الغيب ودقائقه ، وما يتصل به من كم ، وكيف ،

وهيئة، وأكوان ، وأحوال ، وأحكام... إلى آخره ، فذلك كله بالنسبة إلى العقل غيب من الغيب الذى آمن به وأثبته فى الجملة ، ولا سبيل للعقل أن يدرك ذلك بإمكاناته البحتة ، ولا وسيلة للإنسان العاقل إلى أن يعرف هذا الغيب عن طريق عقله وحده ، وإنما سبيله إلى ذلك طريق آخر سوى العقل .

وإنما كان العقل عاجزاً عن إدراك الغيب بتفاصيله ودقائقه ، وسائر ما يتعلق به ، لأن العقل يزاول عمله من خلال الحواس ، فالحواس هى المنافذ التى يطل العقل من خلالها على العالم الخارجى . ولذلك كان العقل محدوداً بحدود الحس ، وما يمكن أن يستنبطه من الحس ، وكان العقل معقولا مغلولا بعقال العالم المادى ، وما يمكن أن يوحيه هذا العالم من شواهد وآثار تدل على من وراءها من مؤثر فاعل خالق مدبر .

وإنك لمستطيع أن تدرك مكان الحس من العقل لو أنك تصورت إنساناً عاقلا لكنه فقد الحواس كلها فلا بصر ولا سمع ولا ذوق ولا شم ولا لمس ، فكيف يتصل هذا بالعالم الخارجى ؟ وكم تكون محصلته فى المعرفة عن هذا العالم ؟ إن إنسانا هذا شأنه يكون قريبا من الجماد . وتكاد علومه ومعارفه عن هذا العالم أن تكون معدومة .

ذلك شأن العقل ، وتلك منزلة الحواس منه .

• • •

وصنف ثالث من الناس آمنوا بالوحى .

ومرادنا بالوحى هنا هو الخبر الصادق الثابت عن رسل الله — صلوات الله عليهم أجمعين — تلقيا عن الله — تبارك وتعالى — . وقد أشار الحق — سبحانه — إلى طرائق الوحى بقوله — تعالى — :

[وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم] . سورة الشورى : ٥١ .

وهذا الوحى الصادق الثابت عن رسل الله — صلوات الله عليهم — منحصر الآن فيما أوحى الله — عز وجل — إلى خاتم رسله وأنبيائه ، محمد — ﷺ — ، ذلك أن وحى الله — تعالى — المنزل على الرسل السابقين قد رفع العلم به من الناس ، أو بدل وغير ، فهو بين اثنين : إما كتب رفع العلم بها إلا من أسماء بعضها المذكورة فى القرآن العظيم . وذلك كصحف إبراهيم ، وإنجيل عيسى — عليهما السلام — ، وإما بدلت وغيرت كتوراة موسى — عليه السلام — . وبذلك أضحى الوحى الصحيح هو ما نزل على محمد — ﷺ — ، فهو الوحى الذى حفظه الله — تعالى — من التبديل والتغيير ، ونشر علمه بين الخلق ، وأذاع العلم به بين الجنة والناس .

ولعل من حكمة الله — سبحانه — فى رفع العلم بالكتب السابقة — سواء رفعت تماما ، أو رفع العلم بصحيحها — ألا يكون بين أيدى الناس من وحى إلا القرآن المجيد . وألا يكون بجواره ما يكون وحيا موثوقا به ، حتى لا يتوزع الناس بين وحيين ، ولا تتداول أيديهم كتابين ، وحتى يكون نسخ القرآن الكريم لما سبقه من الكتب علما وعملا ، وخبرا وواقعا . فلا يكون على الساحة إلا كتاب الله القرآن ، وتكون الكتب السابقة أخبارا مبثوثة بين آياته ، نستق العلم بها منه ، ونؤمن بها على مقتضى ما ورد عنها فى آياته البينات .

والوحى الذى هو شرع الله الموحى به إلى رسول الله — ﷺ — كتابا وسنة صحيحة ، من حيث أن السنة الصحيحة التشريعية إنما هى من وحى الله إلى رسوله ، تحقيقا لقول الله — تعالى — فى شأن رسوله ﷺ :

[وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى]

سورة النجم : ٣ — ٤ .

هذا الوحى هو ما نقصد به الطريق الثالث من طرق المعرفة ووسائلها، والوحى بهذا المعنى ليس قسيما للعقل، وليس قسيما للحس، وليس معارضا لهما أو لواحد منهما.

فالوحى لا يعارض الحس ولايدعو إلى إهماله، بل يدعو إلى إعماله، ويحض على الإفادة منه فى مجاله. ويعول عليه فى أهم مجالات المعرفة،وهى معرفة الله - سبحانه وتعالى -. وبجانب الآيات التى ذكرناها عند الحديث عن الحس. إقرأ معنا قول الحق - سبحانه وتعالى -:

[الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون، وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون، وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون].

سورة الرعد. الآيات: ٢ — ٤

هذه الآيات - وغيرها كثير - هى من وحى الله على رسوله - ﷺ - وهذا الوحى من قبل الله لم يهمل الحس أو العقل، ولم يعارضهما، بل أنزل آيات تحض على إعمال الحس وعلى إعمال العقل جميعاً. وجعل الحس والعقل أداتين من الأدوات ووسيلتين من الوسائل التى توصل الإنسان إلى ربه، وتعرفه بالله خالقه ورازقه - سبحانه -.

والملاحظ هنا أن الوحى يدعو الحس ويدعو العقل، ويحضنا على أن نعملهما - كلا فى مجاله - كى يصلان بالإنسان إلى معرفة ربه. ولكن فى أى شىء يعمل الحس ويعمل العقل وصولا إلى الله - سبحانه -؟ إنهما يعملان فى الكون حولهما، يعملان فى الكون بحثا وفحصا، وتفكراً

وتدبراً ، ومن خلال ذلك كله تتكون معرفة الإنسان بالكون حوله ، وبالوجود الذي يعيش فيه .

فالوحي الذي دعا الحس والعقل إلى العمل وصولاً إلى معرفة الله ـ سبحانه ـ هو ـ في نفس الوقت ـ قد عمل على أن يكتسب الإنسان معرفة بالكون الذي حوله . فإعمال الحس والعقل في آيات الله الكونية لم تيسر للإنسان معرفة ربه فقط ، بل يسرت له معرفة الكون الذي يعيش فيه . ولعل معرفة الكون جاءت أولا ، لأنه من خلالها وصل الإنسان إلى معرفة مكون الكون ، وخالق الوجود ـ سبحانه وتعالى ـ .

وإذا ما أضفنا إلى ما سبق ، أن الوحي لم يطلب من الإنسان أن يعمل حسه وعقله في الكون فقط ، بل أمره أمر تكليف أن ينظر في نفسه جملة وتفصيلا ، في نشأتها وتكوينها وأصلها الذي عنه نشأت وتكونت ، وأحوالها بعد النشأة والتكوين ، في بدايتها ونهايتها وما بين ذلك . يقول الحق ـ عز وجل ـ :

[فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب] : الطارق : ٦ — ٨

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ :

[وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون] .
الذاريات : ٢٠ — ٢١

إذا ما نظرنا في ذلك وتدبرنا ، فإننا ندرك أن الوحي طريق شامل للطرق كلها ، فالوحي يوجه الإنسان إلى إعمال حسه وعقله في الكون وفي نفسه وصولا إلى الخالق ـ عز وجل ـ ، وبذلك يتحقق للإنسان معرفة نفسه ، ومعرفة الكون حوله ، ومعرفة خالقه ـ سبحانه وتعالى ـ . كل هذا من خلال الوحي .

وبذلك يصدق ما سبق أن نبهنا إليه ، من أن الوحى ليس طريقاً معارضاً للحس أو للعقل ، ولكنه موجه لهما ، ومرشد لسلوكهما ، وموضح لكل منهما المجالات التى فيها يعمل و ومنها يفيد .

* * *

والوحى فوق ذلك له مجاله أو مجالاته الخاصة به التى لا يصلح فيها حس ولا عقل ، فهو طريق يعرف الإنسان ربه ، ويوضح للمرء من عوالم الغيب ـ بمشيئة الله تعالى ـ ما لا سبيل إلى معرفته أو الوصول إليه إلا عن طريقه . ولا يفلح فى ذلك حس ولا عقل ، لأن مجال الوحى بعيد عن الحس والعقل وليس فى متناول واحد منهما .

نعم ، قد ينشط الحس فيعمل فى الكون بحثا وتمحيصا ، وقد يسدد العقل ويجتهد فى التفكر والتدبر فيصل الإنسان من خلال هذا وذاك إلى معرفة أن لهذا الكون خالقا مدبرا حكيما . فيعرف الإنسان ربه دون وحى .

لكن يبقى بعد ذلك كل ما يتصل بالله ـ سبحانه وتعالى ـ أو بذلك الخالق المدبر ، يبقى ما يتصل به من صفاته وأفعاله ، وما يجب له ، وما يستحيل بالنسبة إليه ، وما يطلبه من خلقه تكليفا ، وبيان مراداته فى كونه . . إلى آخر هذه التفاصيل التى لا يصل إليها الإنسان بحس ولا عقل .

ويبقى للوحى دائماً مجاله الخاص به .

* * *

عوامل الضلال فى تلك الوسائل والطرق .

عرفنا أن هناك طرقا ثلاثة ، كل منها يمكن أن يؤدى بالإنسان إلى معرفة نفسه أو الكون والخالق ـ جل وعلا ـ .

لكن هذه الطرق كثيرا ما تضل بالإنسان أو يضل بها الإنسان . وقليلا ما تفلح به وتصلح من شأنه . فما السبب فى فساد هـذه الطرق وانحرافها وضلالها ؟

السبب فى انحراف هذه الطرق وضلالها إنما يكمن فى إعمال كل منها فى غير مجاله . فالحس له مجال يعمل فيه ، فإذا خرجت به عن مجاله ، فإنه يضل ويفسد ، وبدلا عن أن يهديك الطريق ؛ يضلك ويغويك .

وأمامنا الماديون الطبعيون الذين لا يؤمنون إلا بالحس ، ولا يقرون إلا بالمادة فقط ، ثم يرفضون كل ما لا يقع تحت حسهم . أى أنهم يحكمون الحس فى كل شيء . وإذا ما حدثتهم عن الله ـ جل وعلا ـ طلبوا منك أن تظهره لهم حتى يزنوه بحواسهم . فهم يزنون كل شيء بالحس ، ويحكمون الحس فى كل شيء حتى فى عالم الغيب .

وهؤلاء قد ضلوا بسبب أنهم استعملوا الحس فى غير مجاله .

ومثل ذلك الذين يجعلون العقل هو مقياس كل شيء . ولا يقرون بعجزه فى مجال الغيب . ولذا فهم يركبون عقولهم ، ويخبطون بها فى كل مجال ، وهؤلاء ضلوا ضلالا بعيداً حينما جهلوا أن للعقل حدوداً يقف عندها ، وأن عليه قيوداً لا يستطيع الفكاك منها .

وأمامنا ـ أيضا ـ الفلاسفة الذين أطلقوا لعقولهم العنان يحكمونها فى كل شيء . حتى فى وحى الله ـ سبحانه ـ . حتى وصل بهم الضلال إلى ما ذهبوا إليه من أنه لو وقع تعارض بين ما وصل إليه العقل ، وما جاء به الوحى . أخضع الوحى للعقل ، وأول الشرع حتى يمشى فى ركاب العقل . وهذا هو الضلال البعيد .

وهؤلاء لم يضلوا ذلك الضلال إلا أنهم استعملوا العقل فى غير مجاله .

العصمة من الضلالة – إذن – فى أن نعرف قوانا وإمكاناتنا . ونعرف لكل شيء حدوده فنقف بالحس عند مجاله ونقف بالعقل عند مجاله، ونتلق عن الله – تعالى – وحيه المعصوم الذى هو فوق الحس والعقل . ونقول : (آمنا به كل من عند ربنا) . وندعو الله – تعالى – : [ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب] .

• • •

تبقى بعد ذلك كلمة موجزة عن الفرع الثانى من الوحي . وهو الإلهام أو الفيض أو الإشراق . الذى يدعى الصوفية ومن جرى مجراهم أنهم يعرفون به ربهم وأنفسهم والكون . دون حاجة إلى حس أو عقل .

وهذا الطريق الصوفى هو معارض للحس والعقل ، فلا يستعمل هذا ، ولا يستعين بذاك . بل يترك أصحابه الأسباب معتمدين على مايدعون من فيوضات وإشراقات وإلهامات ، تأتيهم من الله – تعالى – دون أخذ بالأسباب ، اللهم إلا المجاهدات والرياضات من تجويع النفس ، وإضعاف البدن . . إلى آخر ذلك .

وهذا الطريق – رغم أنى لا أسلم به تسليما مطلقا – إلا أنه لا كلام لنا فيه . لأنه يمثل حالات خاصة بأصحابه . وهو من الأمور الذوقية التى لا دليل عليها ولا تعرف إلا بالمزاولة . لذا نترك أصحابها وشأنهم ، داعين الله – تعالى – أن يهدى الجميع وأن يسدد خطانا على الحق .

إنه سميع مجيب ؟

• • •